

خطبة

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

- حفظه الله -

يوم الجمعة 25-2-1438هـ

الموضوع: حرمة دماء المسلمين وأعراضهم

وفيها بيان من الشيخ - حفظه الله - حول الذين

اتَّهموا بعض الشيوخ بأنَّهم أفتوا إلى ما أدَّى

إلى اختطاف وقتل د. نادر العمراني

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٧﴾}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾}

أما بعد، فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[حرمة دماء المسلمين]

ثم يا عباد الله، إنّ المؤمن العارف بدينه، والناصح لأُمّته، والمُحبّ للإسلام والمسلمين، ليحزن قلبه، ويُدمع عينه، ويُهْمُّ نفسه، ما يراه ويسمع عنه من تساهل أعداد من المسلمين في الدماء وكثرة القتل بغير حقّ. ويعظم الأمر ويشتدّ الكرب عندما يتقرّب مسلمٌ إلى الله عزّ وجلّ بقتل مسلمٍ ظلماً وعُدواناً، كما نسمع أحياناً من تربّص بعض المسلمين بجيوش جنود بلدانهم وقتل ما يستطيعون منهم، وما نسمعه من جرائم اختطاف وقتل باسم الدين.

ومن المستقرّ في النفوس طبعًا والمعلوم يقينًا شرعًا عظيمُ حرمة النفوس وقُبْحُ القتلِ بغيرِ حق. فمِمَّا اتَّفَقَ عليه الأنبياء ولم تَحُلْ منه شريعة من الشرائع حفظ الدماء. وقد جاءت شريعتنا الكاملة بأكمل ما عرفه البشر في حفظ الدماء وتحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة. فحفظ الدماء - يا عباد الله - من ضروريات الدين، وقد جاءت نصوصٌ كثيرة في تحريم القتل بغير حق، إذا سمع المؤمن الصادق نصًّا واحدًا منها كفاه ذلك زاجرًا عن التساهل في الدماء.

[النصوص من الكتاب والسنة في تحريم قتل النفس بغير حق]

- يقول ربُّنا عز وجل: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} ٩٣
- وقال سبحانه: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ٣٠، فمن يقتل أخاه فهو من الخاسرين.
- ويقول ربُّنا سبحانه وتعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}
- وقال الله عز وجل مخاطبًا المؤمنين: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}
- وبين الله عز وجل لكلِّ ذي لبٍّ أنَّ القتلَ بغير حق من أعظم الإفساد وأقبح الإجرام، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ٣١

- وحَدَّثَنَا النبي ﷺ أَيَّمَا تحذير من التساهل في الدماء، فقال ﷺ: " لن يزال المؤمن في فُسْحَةٍ من دينه ما لم يُصِْبْ دَمًا حرامًا."
- وقال ﷺ: "لا يزال المؤمن مُعْنَفًا صالحًا ما لم يُصِْبْ دَمًا حرامًا، فإذا أصاب دَمًا حرامًا بَلَحَ." فإصابة الدماء المحرَّمة تُقَطِّعُ المؤمنَ من الخيرات.
- وقال النبي ﷺ: "لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم." الله أكبر يا عباد الله! إنَّ مفسدة قتل رجل مسلم واحد أعظم عند الله من مفسدة زوال الدنيا بأسرها.
- وقال ﷺ: "من استطاع منكم أن لا يُحال بينه وبين الجنة بملء كفٍّ من دمٍ أهراقه فليفعل".
- وقال ﷺ: "من قتل مؤمنًا فاعتبض بقتله لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً." من قتل مؤنًا فاعتبض بقتله، أي أنه قتله وصبَّ دمه صبًّا، لم يقبل الله منه فريضة ولا نافلة يوم القيامة. ويُروى الحديث: "من قتل مؤمنًا فاغتبط بقتله -أي سرَّ بقتله - لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً يوم القيامة".
- وقال رسول الله ﷺ: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار."
- وقال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم حُسِرَ في داره وتوعَّدوه بالقتل، قال رضي الله عنه وأرضاه: "وبِمَ يقتلونني؟ وبِمَ يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحِلُّ دُمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس. فوالله ما زنيت في جاهليَّة ولا إسلامٍ قطَّ ولا أَحْبَبْتُ أنَّ لي بديني بدلًا مُنذ هداني الله عزَّ وجلَّ ولا قتلت نفسًا! فبِمَ يقتلونني؟ فبِمَ يقتلونني؟"
- وقال النبي ﷺ: "كلّ ذنب - كلّ ذنب - عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل المؤمنَ مُتَعَمِّدًا أو الرَّجل يموت كافرًا." كلّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يقتل المؤمنَ متعمدًا أو الرجل يموت كافرًا!

• وقال النبي ﷺ: "يأتي المقتول مُتعلّقاً رأسه بإحدى يديه مُتَلَبِّبًا قاتله بيده الأخرى تَشْخُبُ أوداجه دمًا، حتى يأتي العرش، فيقول المقتول لله: ربّ هذا قتلني! ربّ هذا قتلني! فيقول الله عزّ وجلّ للقاتل: تَعَسْتَ! ويذهب به إلى النار."

• وقال النبي ﷺ: "الإيمان قَيِّدُ الْفَتْكَ، لا يفتك مؤمن."

• وخطب النبي ﷺ الناس في حجة الوداع، وكان ممّا قال: "إنّ دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا."

• وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "إنّ من ورقات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حقّه."

الله أكبر يا عباد الله! الله أكبر يا معاشر المؤمنين! ما أعظم حرمة الدماء! فمن ثبت له الإسلام ثبتت له العصمة، ولا يجوز أن يُقتل إلا بالحق الذي بيّنه الله وبيّنه رسوله ﷺ بأن يثبت هذا السبب بطرق الإثبات الشرعية المعلومة.

[إذا وجد السبب فلا يكون القتل لغير ولاية الأمور والحكام]

وإذا ثبت فإنّ قتل المؤمن إذا ما وُجد فيه سبب للقتل إنما هو لولاية الأمر والحُكّام ومن أقامهم الحاكم بالعدل، وليس لأفراد الناس ولا للجماعات. فمثلاً يا عباد الله، لو أن جاراً رأى جاره الثيّب يزني، وعلم ذلك يقيناً، فإنّه لا يجوز له أن يقتله بحُجّة أنه قد زنى بعد إحسان. وإنما ذلك - يا عباد الله - إلى من جعل الله له ذلك.

[لا يجوز القتل لأحدٍ بالتّهم والظنون]

والقضاة والجيوش الإسلامية لا يجوز لهم الإقدام على القتل بالظنون والتّهم، بل لا بدّ من ثبوت السبب الموجب للقتل وتحقّق الحال. فليتنق الله القضاة، وليتنق الله أفراد الجيوش في دماء المسلمين. ولا يجوز - يا عباد الله - أن يؤخذ المسلم بالظنون والتّهم.

● وكلّنا يعلم تلك القصة العظيمة عندما كان الصحابة رضوان الله عليهم في سرية من السرايا، ففرّ رجل من الكفار، فأدركه أسامة بن زيد ورجل من الأنصار، فقال الرجل الفارّ: "أشهد ألا إله إلا الله"، فكفّ عنه الأنصاريّ وطعنه أسامة رضي الله عنه برُمحه حتى قتله. فلما رجعا إلى المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: "يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" قال: "يا رسول الله أوجع المؤمنين! قتل فلانا وقتل فلانا وقتل فلانا، وسمّي نفرًا وإنّما قالها متعوّذًا". يعني كان عند القوّة حريصًا على قتل المؤمنين فلما علّونه بالسيف أراد أن يحمي نفسه فقال "لا إله إلا الله". فقال النبي ﷺ: "أشقت عن قلبه؟ أين تذهب بلا إله إلا الله يوم القيامة يا أسامة؟" فما زال يكرّرها النبي ﷺ حتى تمّنى أسامة رضي الله عنه أنّه لم يُسلم إلا في ذلك اليوم.

● والمقداد رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ مقالة عظيمة، وسأل سؤالًا عظيمًا، فقال: "يا رسول الله، أرايت لو لقيت رجلًا من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يديّ بالسيف، ثم لاذ مني بشجرة، فقال أسلمت لله، أقتله بعد ما قالها؟". فقال الرسول ﷺ: "لا تقتله، لا تقتله!" قال: "يا رسول الله، قد قطع إحدى يديّ!" قال: "لا تقتله، فإنك إن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال." وهذا - يا عباد الله - يدلّنا دلالة عظيمة بيّنة على أن المسلم إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لم يجز لمسلم أن يتساهل في قتله بالتّهم والظنون، وإنما يُقتل إذا وجدت فيه عسكر القتل وتحققت، وكان القاتل له قد أذن الله له في ذلك. أما الأفراد والجماعات فليس لهم سبيل إلى قتل المؤمن.

[المسلم إذا لم يستحلّ السيف في المسلمين وخالفنا في شيء من العقيدة أو المنهج أو الفكر لا يجوز قتله للأفراد والجماعات وإنما من ظهر فساده يرفع للجهة المعنية ويدفع شره بالبيان من أهله]

ومِمّا يجب أن نوّكد عليه - يا عباد الله - أنّ من خالفنا في عقيدة أو منهج، أو جاء بفكر منحرف من المسلمين، ولم يستحلّ السيف في المسلمين، ولم يرفع عليهم السلاح، لا يجوز لفردٍ من المسلمين أن يغتاله أو يختطفه أو يقتله،

بحجة حماية البلاد والعباد من الإفساد. فإنّ هذا من الجرائم الكبرى والورقات العظمى. وإنّما الواجب إن ظهر إفساد من أحد، أن يُرفع إلى القضاء لدفع فساد. كما يجب على من عنده علم أن يبيّن للناس الخير، ويحذّرهم من فساد ذلك الرجل، ويعلمهم السنة والتوحيد. هذا هو الواجب يا عباد الله. فالواجب علينا أن نتقي الله عز وجلّ وأن نمتثل ما جاء في كتاب ربنا وما جاء في سنة نبيّنا ﷺ لعلنا أن نكون من المرحومين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد، فيا معاشر المؤمنين!

[حفظ أعراض المسلمين]

إنّ من ضروريّات الدين القطعية حفظ أعراض المسلمين، فالمسلم يُحفظ عرضه ولا يجوز أن يُقذف، ولا أن يُسبّ، ولا أن يُشتّم، ولا أن يُتّهم بتهمة لم تثبت عليه. فلا يجوز لمسلم - يا عباد الله - أن يتّهم أخاه المسلم بتهمة لم تثبت عليه، ولا يجوز لمسلم أن ينشر تلك التهمة ولو لم يكن هو الذي قالها.

[بيان من الشيخ - حفظه الله - حول الذين اتّهموا بعض الشيوخ بأنهم أفتوا إلى ما أدى إلى اختطاف وقتل د. نادر العمراني]

وإن ممّا يشيع بين الناس في هذه الأيام في وسائل التواصل اتّهام شيوخ معيّنين بأسمائهم بأنهم أفتوا بما أدى إلى اختطاف رجل مسلم، وقّتل في بلد من بلدان المسلمين، يعتمدون في ذلك على تسجيل بالفيديو لا مصداقية له، فالله أعلم به، وحتى لو ثبت فإنه لا يُثبت التهمة، فإنه ليس من الطرق الشرعية التي تُثبت بها التهمة.

فالواجب علينا - يا عباد الله - أن نكفّ ألسنتنا عن هذا الأمر وأن لا ننشر هذه الرسائل. ومن نشر هذه الرسائل شارك من اتهم أولئك الأشياخ قبل أن يثبت عليهم شيء في الجرم والإثم، يا عباد الله.

فنزّهوا أنفسكم ونزّهوا ألسنتكم من المشاركة في هذا الذنب. نسأل الله عز وجل أن يعين ولاية الأمر في ذلك البلد على معرفة الحقيقة وأخذ القصاص من المجرمين الضالين.

وكونوا - عباد الله - كما قال الله عز وجل لكم:

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ - ما ليس لكم به علم - وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا - ما يكون لنا أن نتكلم بهذا - سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾}

فالمؤمن الموقّق - يا عباد الله - إذا سمع تهمة لمسلم ولم يعلم ثبوتها بالطرق الشرعية فإنه يلزم السكوت ولا يتكلّم في هذه المسألة.

فالله الله عباد الله، كونوا من عباد الله الصالحين، كونوا من عباد الله المفلحين، وإياكم أن تغتروا بتزيين شياطين الإنس والجن، فإنه لا خير لنا إلا في لزوم ما في كتاب ربّنا، وما في سنة نبينا ﷺ.

[الصلاة على النبي ﷺ والدعاء]

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته، فقال عزّ من قائل: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} ٥٦.

وقال النبي ﷺ: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا".

فاللهم صلّ وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين.
ارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنا معهم بمثلك وكرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم أكرمنا برضاك في الدنيا، وأكرمنا برضاك عنا في الآخرة يا ربّ العالمين. اللهم يا كريم يا جواد أكرمنا بأن ترضى عنا يا رب العالمين. اللهم ارض عنا وأرضنا. اللهم ارض عنا وأرضنا. اللهم ارض عنا وأرضنا.

اللهم ارزقنا قلوبًا خاشعة. اللهم ارزقنا قلوبًا خاشعة. اللهم ارزقنا قلوبًا خاشعة.
اللهم ارزقنا أخلاقًا حسنة. اللهم ارزقنا أخلاقًا حسنة. اللهم ارزقنا أخلاقًا حسنة.
اللهم اجعنا ممّن كتبت لهم الحياة الطيبة. اللهم اجعنا ممّن كتبت لهم الحياة الطيبة. اللهم اجعنا ممّن كتبت لهم الحياة الطيبة.

إلهنا، إنك تسمع كلامنا وترى مكاننا وتعلم ما في صدورنا، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نوّدي فريضة عظيمة من فرائضك، ولكل واحد منّا في قلبه سؤال، اللهم فأعطه سؤاله وزده من فضلك يا رب العالمين.

اللهم ارحمنا أجمعين. اللهم ارحمنا أجمعين. اللهم ارحمنا أجمعين.

إلهنا إنّ كلّ واحد منّا يحمل على ظهره ذنوبًا عظيمة، وأنت الغفور الرحيم، اللهم فاغفر لنا أجمعين. اللهم فاغفر لنا أجمعين. اللهم اغفر لنا أجمعين. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأبنائنا ولبناتنا ولأزواجنا ولجيراننا وللمسلمين والمسلمات يا ربّ العالمين.

اللهم من أحييته مِنَّا فأحيه على الطاعة والإحسان، واقبضه على الإيمان يا رب العالمين. ومن أمتّه من المسلمين، اللهم فاجعله مُنْعَمًا في قبره وارحمه يا رب العالمين، واجعله من عبادك المُنْعَمين يا رب العالمين.

اللهم ما أنعمت به علينا من نعمةٍ فارزقنا شكرها وثبتّها لنا وزدنا من نعمك يا رب العالمين. اللهم أدم الأمن في بلادنا وارزق بلاد المسلمين الأمن والأمان يا رب العالمين.

اللهم أقرّ أعيننا باستقامة عبادك المسلمين على دينك يا رب العالمين. اللهم أقرّ أعيننا بالتفريج عن إخواننا في فلسطين وبالتفريج عن إخواننا في سوريا، وبالتفريج عن إخواننا في اليمن، وبالتفريج عن إخواننا في العراق، وبالتفريج عن إخواننا في بورما. اللهم أقرّ أعيننا باجتماع كلمة المسلمين في كلّ بلدٍ من بلدانهم يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبيّنا وسلّم.